الباب الأول :

الصراع الداخلي

الفصل الأول: الصراع بين المادة و الروح

الفـصل الثاني: الصراع بين الخير و الشرّ

الفصل الثالث: الصراع بين الوجود والعدم

obeikandl.com

الفصل الأول

الصراع بين المادة و الروح

obeikandl.com

1.1: الصراع بين المادة و الروح

يتمتع شعراء المهجر بحس إنساني فريد من نوعه، هذا الحس المرهف ناتج من تحمل قسوة الاغتراب والمرارة و الوحدة و الغربة والاشتياق إلى الوطن والأهل، وكان للمظاهر المادية في الحياة الجديدة التي انتقل إليها الشعراء المهاجرون أثرٌ بيِّن في حياتهم النفسية والمعنوية[1]، واصطدامهم بالمجتمع الجديد بما يضج فيه من الآلات و صراعٍ رهيب يشد العقول إلى بريق المادة فينسى الناس كل نبضة حب وخفقة حنان، والانتماء لكل عاطفة إنسانية خالدة...(كل هذه الضغوط أدت إلى نفور هؤلاء الأدباء من مواصفات هذا المجتمع (الديناميكي) وإطلاق العنان للعاطفة الإنسانية والوجدان الصافي)[2]، إذ علت نبرتهم للتأمل في الدنيا والحياة والموت، فاشتكوا همومهم وبثوا أحزانهم، ويعد بث هموم الذات أو الشكوى من أبرز الأغراض التي اشتهر بها المهجريون، فنجدهم يخاطبون أنفسهم وكأنهم يخاطبون وجودهم، وبسبب بعدهم عن الأهل والوطن في مجتمع أقل ما يوصف به الجمود والتحجر والصراع المادي لم يجد الشعراء ملتجأ، فكل هذه المعاناة جعلت في نفوسهم صراعًا داخليًّا.

ويرتبط بث النفس لهمومها ارتباطًا وثيقًا بالنزعة الإنسانية عند شعراء المهجر، وقد وجد شعراء المهجر متنفسًا لهم في الشعر لأنهم رأوا أنه المعبر الوحيد عما يختلق في نفوسهم، لأن الأدب والشعر وسيلة غير مجحودة الفضل، ولا منكورة الأثر فيما لها من مقدرة على ترقيق المشاعر وتهذيب النفوس، وتحبيب الخير، ولاشك أن النفس إذا استثيرت ميولها نحو الفضائل وغذيت بتراث المُثل وهدايات السماء، واستتبع ذلك التطبيق العلمي في أنماط السلوك الإنساني أصبح لنا كبير الأمل في أن نحيا حياة أسعد مما نحن فيه الآن من توتر وصراع وحرب خفية ومعلنة وباردة وساخنة، ولاستحالت الحضارة بكل ما تحويه من تفوق علمي إلى عوامل إبادة تترصد إفناء الإنسان وتتفنن فيه[3].

وقد أثر المجتمع المادي الغربي الذي عاشوا فيه تأثيرًا كبيرًا في نفوسهم، وبذلك بحث المهجريون في طبيعة النفس الإنسانية وهربوا إلى عوالم مثالية لاصطادمهم بصراع بين العوالم المختلفة، لأنهم لم يتصالحوا مع واقعهم الجديد، فنراهم يحسون بهذا الصراع

---

[1] - ينظر شعراء الرابطة القلمية، د. نادرة السراج، ص 148.

[2] - أدب المهجر، د. صابر عبدالدايم، ص 71.

[3] - ينظر أدب المهجر بين أصالة الشرق و فكر الغرب، د. نظمي عبدالبديع محمد، ص 89، دار الفكر العربي، القاهرة.

داخل نفوسهم[1]، و نظرًا للإكراه الذي يمارس باستمرار في الحياة، يقول الدكتور زكي نجيب محمود:(ولقد كانت حياتنا الفلسفية لينقصها شيء كثير لو لم يقم فينا من يوجه دعوته إلى الاهتمام بالروح، ولقد أطلق على هذا المذهب (اسم الجوانية) إشارة إلى التفرقة بين ماهو ظاهر وما هو باطن، فعنده أن الظاهر عرض والباطن جوهر، أوهي تفرقة بين المادة و الروح)[2].

(والفلاسفة القدماء كان لهم توجهاتهم ونظرتهم الميتافيزيقية، وبعض منهم لا يعرفون إلا جوهرين، وهما المادة والروح، أما المثاليون فيعترفون بالروح دون المادة، ويفسرون كل الظواهر المادية على أساس روحاني، أما التجريبيون فيعترفون بالمادة دون الروح، ويترجمون كل الحالات العقلية إلى معطيات الحسية، لكن بعضًا منهم أخذ موقفًا محايدًا أي مصدرًا محايدًا لاسيما وليم جيمس، و برتراند رسل) [3].

فإن العالم لا يخلو من الصراع والألم والمعاناة مما يحرم الإرادة ذاتها من تحقيق حالة من الراحة والاستقرار، وبسبب ذلك الإكراه يتعرض الإنسان للصعوبات والعوائق التي تحول دون إشباع رغباته لتؤدي بالتالي إلى استمرار معاناته.

ونحن (لايمكن أن نصل إلى مرحلة معرفة الروح إلا حين يتحقق العقل من أن موضوعه الذي يعرضه، العالم المادي)[4].

وكان للنقلة والهجرة عظيم الأثر في تغيير وجهة نظر المهاجرين إلى الحياة، وذلك لانتقالهم من مجتمع ذي تقاليد ثابتة نسبيًّا، وتسود أفراده علاقات اجتماعية متعارفة، مبعثها العرف والتقاليد أو الخُلق، إلى مجتمع آخر تنعدم فيه الروح الشخصية، والمسلك الإنساني، وفي الوقت نفسه نجدها علاقات يجانبها الثبات وروح الاستدامة- مما يحدث صدمات نفسية لدى المهاجرين- إذ لامجال في مجتمع المادة لضروب العطف الحارة والصلات الحميمة، ولا للعون والنجدة ولا للأخذ باليد عند مواجهة الصعاب أو نزول النكبات- مما يجعل الهجرة بؤرة حرمان للمهجر- تصلبه بنيران الوحدة والوحشة والعزلة والاغتراب، وناهيك بهذا

---

[1] - ينظر رسالة الماجستير بعنوان الاتجاه الوجداني عند شعراء المهجر، للباحثة سمية عبدالله محمد، ص85-88، تحت إشراف أ.د. فوزي عيسى، كلية الآداب، جامعة الاسكندرية،2008.

[2] - من زاوية الفلسفة، د. زكي نجيب محمود، ص 32، دار الشروق، الطبعة الرابعة، القاهرة- بيروت،1993.

[3] - السابق، ص199.

[4] - هيجل ولتر ستيس فلسفة الروح، المجلد الثاني من فلسفة هيجل، ص132، تقديم زكي نجيب محمود، ترجمة د.إمام عبدالفتاح إمام، دار التنوير للطباعة و النشر،الطبعة الثالثة، بيروت،2005.

العالم المصطخب المليء بالقيود والسدود، وكيف السبيل لمثل هذا الإنسان الذي طحنته المادة لكي يروح عن نفسه؟ لم يجد أمامه من وسيلة إلا التعبير عَمّا في داخله للترويج عن النفس[1].

إنّ الحضارة الشرقية بما فيها من المكاتب، والمناهل الفكرية، والأدبية، والعرفانية، جعلت الأدباء في المهجر يستقون من تراثها السّامي لتوجيه آرائهم وصيانتها، هذا التراث بفكره الروحي والمتسامي يؤيد القلب بدلًا عن العقل أسلوبًا للمعرفة، والخلود، مرجحًا الروح على المادّة، منشدًا إلى الخلاص، والسعادة، وهذه السمات، والميزات البارزة في التراث الشرقي، جعلت أدباء المهجر يتأثرون بها في معظم نتاجاتهم الأدبية.

قال الدكتور أنس داود في كتابه التجديد في شعر المهجر: (لقد أوقفتهم الهجرة أمام حضارة غربية في أسسها الفكرية ومظاهرها المادية عن حضارتهم، بل عن الحضارات الشرقية بعامة... وكانت الحضارة الغربية الحديثة تؤمن بالجسد المحسوس و التجربة وترفض الاعتراف الحاسم بعوالم غيبية مجهولة، وتقديس العقل)[2].

ولكن من هنا تبدو لنا أهمية إدخال تعديل على الاتجاه الإنساني بتقديم معدل متزايد له من الثقافة التي تسمح له بتنمية مشاعرهِ ضمن أساليب تثقيفه اعترافًا بالروح إلى جانب المادة فيه، وبالنسبة نفسها وبالمعدل نفسه في الاندفاع إلى الاتجاه العلمي بعدّه موفقًا وموائمًا يحقق الموازنة فيما يتمثل في الإنسان من عقل و روح فبقي تساوقهما في نغمة واحدة.

وليتزايد لدينا في نفس الوقت الاعتماد على مزيد من الإيمان، فليست النظريات العلمية وحدها كفيلة بالتأثير المعدل لسلوك الإنسان دون سند من الثقافات الإنسانية الروحية، فالمعاني الروحية للإنسان قد أصبحت مهددة بالافتقاد لها نتيجة سيطرة العالم التجريبي، ونتائجه المادية على حياة الإنسان خلال القرن المنصرم بعد صراع مرير بين العلم والروح الإنسانية نتج عنه ازدياد الهوة اتساعًا بينهما[3].

ويجب أن لاننسى أن المذهب الرومانتيكي كان له دور كبير في إظهار هذا الصراع الحاصل في نفوس المهجريين، فلا يمكن أن ننكر أن المدرسة الرومانتيكية كانت ذات تأثير واضح المعالم في الأدب المهجري، والمعروف (صلة الرومانتيكية وعصرهم صلة

---

[1] - ينظر أدب المهجر بين أصالة الشرق و فكر الغرب، د. نظمي عبدالبديع محمد، ص 79.
[2] - التجديد في شعر المهجر، د. أنس داود، ص83، دار الكاتب العربي للطباعة و النشر، مصر 1967.
[3] - السابق، ص89.

الصراع، أوصلة سخط وغضب، وهي صلة الشعور القوي الثائر المتطرف الذي ينشد مثالًا)[1].

الروح عند الرومانتكيين لم تنفذ إلى الشكل المادي فحسب، وإنما تجاوزته، فهنا تسود الروحية وتنفذ إلى الوجود المستقل مخلفة وراءها تجسدها المادي، إذن إنه ليس ثمة تجسيد حسي كامل كافٍ لها، لأن ما يرتفع إلى عظمة الروح و جلالها هو حياتها الروحية الداخلية التي لا يشوبها أية أشكال مادية، والحياة الداخلية للنفس أو ذاتيتها المطلقة هي الموضوع الرئيس الجوهري للفن الرومانتيكي، فقد تنشطر وتتصارع داخليًّا، إلا أنه في الروح لابدّ لها أن تتغلب على آخرها ـالمادةـ[2].

ولاشك أن مدرسة المهجر كانت أول ظهور لمدرسة الرومانتيكية في الأدب العربي، ونذكر قول الدكتور إحسان عباس: (لانستطيع أن نجد مدرسة رومانتيكية واضحة المعالم إلا في العصر الحديث. ومؤسسها جبران كان رومانتيكيًّا إلى أطراف أصابعه، وصوره تكاد لا تفترق في شيء عن شعراء الرومانتيكية بفرنسا وإنكلترا)[3]، وما يهمنا هنا من قول الدكتور إحسان عباس أن مدرسة المهجر كانت على نهج المدرسة الرومانتيكية، وليس المهم من هو مؤسسها في الأدب العربي لأن هنالك من يقول إن خليل مطران هو مؤسس الرومانتيكة في الأدب العربي، فهذا ليس موضوعنا، وسيجد من يتتبع قيام هذه المدرسة في أدبنا الحديث أنها بدأت صورة لرومانتيكية بليك و وردزورث و روسو، فلسفة واضحة الأصول، ثم أخذت المؤثرات المتلاحقة تجعل منها (ظاهرة عصبية)[4].

والنفس الرومانتيكية نفس حساسة قبل كل شيء، تتأثر بأدنى مؤثرات القوة، وتنفعل لأقل الانفعالات شدة، ولاتختلف النفس الرومانتيكية عن غيرها من النفوس، فالفرد الرومانتيكي ذو نزعات ورغائب كثيرة وفيه مجال رحب للصراع بين القوى والأفكار المتعارضة[5]، حيث ينشأ الصراع في نفسه بين المثال والواقع الذي يعيش فيه، تكاد تحدث

---

[1] ـ الرومانتيكية، د. محمد غنيمي هلال، ص35، نهضة مصر للطباعة والنشر،القاهرة،1981.

[2] ـ ينظرهيجل ولتر ستيس فلسفة الروح، المجلد الثاني من فلسفة هيجل، ص150، تقديم زكي نجيب محمود، ترجمة د.إمام عبدالفتاح.

[3] ـ فن الشعر، د. إحسان عباس، ص46، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، الطبعة الخامسة،1992.

[4] ـ السابق، ص47.

[5] ـ ينظر دراسات في الأدب الحديث، د. محمد مصطفى هدارة، ص34، دار العلوم العربية – بيروت، الطبعة الأولى، 1990.

فيها ثورة نتيجة المعاناة إلى أن يجد سبيلًا للتعبير عنها، فأحيانا يصل إلى درجة التحقير والسخرية، فتزداد حساسيتها وحجمها.

ومحور المثالي الروحي الذي يعتبر جوهر العالم روحيًا، ويؤمن بالحقيقة المطلقة، ولايرى أن في العالم حقائق مجردة عن الفكر أو مهيمنة عليه، وهذا الموقف ينتهي إما إلى موقف في الفن يعتبر الظاهرة الإبداعية (أدبًا أو فنًا) هي غاية في حد ذاتها، وإما إلى اعتبارها مسؤولة أخلاقيًا عن رسالة الإنسان بما تمليه عقيدته، أما محور المادي الذي بعتبر جوهر العالم ماديًا، ويعتبر الفكر نفسه إنعكاسًا عن المادة، ويرتكرز على الواقع المادي ويريد فهمه كما هو، وهو ينتهي إلى موقف من الفن يعتبره جزءًا من البنية العليا للمذهب الفكري، فالفن تعبير عن وضع طبقي حتى إن المضمون نفسهُ الذي يحتويه الفن هو الذي يعين طبيعة الشكل، وهكذا يخضع الإبداع لجدلية الواقع المادي وحمايته[1].

ولنر الآن كيف واجه شعراء المهجر العلاقة بين قوى المادة و قوى الروح:

إذا بدأنا من جبران خليل جبران نرى أنه لم يعنَ كثيرًا في شعره بتبيان العلاقة بين الروح والجسد، فومضت بين أشعاره بصورة خاطفة، وأنه كان يعتقد أن الجسد امتداد للروح، وأنهما في تفاعل دائم[2]، أي أنهم في صراعٍ دائم مع بعضهما بعضا، فيقول:

نَظَرتُ إلى جِسمي بِمِرْآةِ خَـــاطري فَـــــأَلفَيتُـهُ رُوحًا يُقَلِّصُـــــهُ الـــــفِكرُ
فَبِي من بَراني وَ الَّذي مَدَّ فســـحَتي وَ بِي المَوتُ وَ المَثوى وَبِي البَعثُ وَ النَشرُ
فَلَو لَم أَكُن حَيًّا لَما كُنتُ مـــــــائِتًا وَ لَـــــولا مَرامُ النَّفسِ ما رَامَني القَبرُ [3]

فجبران الشرقي منفتح على تيارات الغرب، فهو ضد التحجر والعادات الشرقية البالية التي تحوّل الإنسان -أشرف الموجودات- إلى ضحية من مطايا المجتمع وضحاياه، كما رفض إغراق الغرب في ماديته و مدنيته التي تمس القشور، ودعا إلى هجرة المدينة واللجوء إلى الغاب التي سنأتي إليها لاحقًا في هذا البحث، فهو يندد بالحضارة، لأنها في رأيه،

---

[1] - ينظر الصراع بين القديم والجديد في الأدب العربي الحديث، د. محمد الكتاني، ص1223، الجزء الثاني، دار الثقافة للنشر، دار البيضاء، المغرب،1981.

[2]- التجديد في شعر المهجر، د. أنس داود، ص 200.

[3] - المجموعة الكاملة لـ جبران خليل جبران، من قصيدة سكوتي إنشاد، قدم لها ميخائيل نعيمة، ص594، دار صادر- بيروت.

حضارة قامت على جماجم العباد، هو يرى أن الغربيين تقدموا في العلم وعالم الاختراع، وتأخروا في الإنسانية[1].

يقول الدكتور نذير العظمة: (وإن المدن الأمريكية يعطيها سمات مادية بارزة لم تكن تستهوي الشاعر المرهف الذي يحن إلى عالم الروح)[2].

وبصورة طبيعية، كل ذات تحقق وحدتها و اتزانها و تنعم بالسلام، فنراه يقول ممثلاً حنين جبران الحاد إلى تخطي واقعه المضطرب في داخله:

كَالفَجْرِ تَنْهَض نَفْسي فِي دَاخلي
عَارِيَة غَيْر مُثقلَةَ
وَ كَالبخرِ غَيْر المستَكن،
يَطْرَحُ قَلْبي عَنْهُ حُطَامًا فَانيًا مِنَ الإنسان والأرْضِ.
لَنْ أعلق بِمَا استَمْسَك بِي،
بل أريد أن أسمو إلى ذلك الذي يسمو فوق مقدوري.[3]

(تنشأ تلك المغايرة الأساسية في التكوين النفسي، إنها غربة الاتزان وسط الاضطراب، والانتظام وسط الفوضى، والرسولية الروحية وسط التنازع المادي)[4]، وهكذا تقوم الموازنة بين الواقع النفسي والواقع الفعلي، (وتعكس ذلك الاغترابَ الروحيَّ الناشئ من صراع داخلي عنيف بين الواقع والمثال، ولم يكتف بالإشارات اللماحة المتمثلة في الموازنة بين المهجر المادي القاسي الشرير، وبين الشرق الروحي النقي الشفيف الذي يفيض بالحب والهناء)[5].

وقد أتضح ذلك في قصيدة المواكب، كما أنه صرح بتفرده وغربته الروحية حين تحدث عن أخي الأحلام الغريب المنفرد، وشبهه بالأنبياء:

فَإنْ رَأيتَ أَخا الأحـــلامِ مُـنْفَردًا عَنْ قَوْمِـــــهِ وَهْوَ مَنْبوذٌ وَمُــحتَقَرُ
فَهوَ النَبيُّ وَبُردُ الغَدِّ يَـــــحجَبُه عَنْ أمةٍ بِرداءِ الأمـــــــــسِ تَأتَزرُ

---

[1]- ينظر جبران عبقري من لبنان، د. فوزي عطوي، ص69، دار الفكر العربي، بيروت،1989.
[2]- جبران خليل جبران، د. نذير العظمة، دار طلاس للدراسات و الترجمة والنشر، ص43، الطبعة الأولى،1987.
[3]- آلهة الأرض والسابق، جبران خليل، عربه الأرشمنديت أنطونيس بشير، ص22، المكتبة الثقافية، بيروت.
[4]- جبران خليل جبران، غازي فؤاد براكنس، ص418، دار الكتاب اللبناني، بيروت،1981.
[5]- زهرات من رياض المهجر، د. إخلاص فخري عماد، ص72، دار الأمين للنشر والطباعة، الطبعة الأولى.

وَهْوَ الغَريبُ عَن الدُنيا وَ سَاكِنِها وَهْوَ المَجاهرُ لامَ النَاس أَوْ عَذَرَوا[1]

و مما لا ريب فيه أن قارئ ديوان (همس الجفون) لميخائيل نعيمة سيحس بأن هذه الثنائية أي (المادة والروح) في النفس البشرية قد عذبته كثيرًا، فألح عليها بالتصوير والتفهم إلى أن أفاء أخيرًا إلى أنه لاضير على النفس من هذا الازدواج في طبيعتها, وأن هذين الطرفين المتناقضين يصنعان باجتماعهما كلّاً متكاملاً، وأن هذه الواحة لجأ إليها الشاعر بعد صراعٍ عاصف حول حقول النفس الإنسانية[2].

(فقد كان في البداية يحلم بالمادية الغربية، فإنه يحس بظمأ فيحاول أن يلقي دلوه علّه يعود بماء يروي غليله، غير أن هذ الدلو لم يحمل للشاعر ما كان يأمله، وهنا يمكن أن نعتبر هذا الظمأ ظمأ روحيًا)[3] ويمكن في الوقت نفسه أن نَعدّه عطشًا ماديًّا:

أَلـــــقيتُ دَلويْ، بَيـــــــنَ الدَلاءِ
وَقُـــــلتُ علّي أحظـــــــى بماءِ
فَعَـــــادَ دَلوي مَـــــــعَ الدّلاءِ
وَلَيـــــسَ فِيهِ إلاّ رَجـــــائِي[4]

نستطيع أن نقول إن ميخائيل ذو نزعة تشاؤمية من خلال هذه الأبيات، بحيث جرب حظه مثل الناس لكن أتى بغير ما كان يريده في الحياة.

ويقول في كتابه سبعون فماذا عساني أقول لمن يسألني عن: (نهضة الشرق العربي وموقفه إزاء المدنية الغربية) أكثر من أن أرد ذلك الشرق إلى إيمانه بما هو أقوى وأبقى من المدنيّة الغربية بما لا يقاس؟ (لو أخذت من المدنيّة الغربية ما استعارته من الشرق لتركتها لحدًا مطليًّا من الخارج بالذهب، و في الداخل محشوًّا عظامًا ودودًا. فلو قلت للغرب يومًا: ها أنا سأجمع كل آثاركم الكتابية وأحرقها، إلا واحدًا ولكم أن تختاروه، فماذا ترى يختار الغرب؟ ولاشك الكتاب المقدس، فإذا كان أثمن آثار الغرب وأعزها هو هبة الشرق، فكيف للشرق أن يمدّ يده للغرب مستعطيًا؟ وماذا يستعطي سوى طيارات وقطارات ودواليب

---

[1] - المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران خليل جبران- العربية من (قصيدة المواكب)، تقديم ميخائيل نعيمة، ص366.
[2] - ينظر التجديد في شعر المهجر، د. أنس داود، ص 202.
[3] - موازنة بين شعراء المهجر الشمالي و جماعة أبوللو، د. بوجمعة بوبعيو، ص265، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ليبيا، الطبعة الاولى،1995.
[4] - همس الجفون من قصيدة (أنشودة)، ميخائيل نعيمة، ص64، مؤسسة نوفل، بيروت، الطبعة السادسة،2004.

وأسلاك...ولا لتعطيه طمأنينة روحية ليس يحصل عليها بإيمانه؟ أما الثمن الذي يدفعه إلى الغرب لقاء ما يستعيره منه أو يستعطيه فعزة النفس وراحة الفكر)[1].

وكان هذا التسليم مقدمة لأن ينجو نعيمة من عذاب مرير آخر، فميخائيل ذو تكوين نفسي خاص، فقد ولد وترعرع في بيئة شرقية مسيحية إسلامية، وتلقى تعليمه في مدارس تبشيرية تصطبغ بالصبغة الدينية، لهذا نراه فيما يقص علينا من حياته يصد كل طامعة وينهي كل علاقة تريد أن تتجاوز الصلات الروحية، ولكنه في أمريكا حاصرته تجربة الجسد والماديات، والتقى بمن اشتعلت فيه نيرانه واشتعلت به.

بين سعادة الاستسلام وشقاء التمرد العقلي -الذي ترفده الموروثات الدينية والشرقية - نشب الصراع في نفس ميخائيل، فقد راعه ما تنطوي عليه النفس من تناقضات وما يتصارع في أعماقها من قوى المادية والروحية، إن هناك شيئًا داخليًّا يسعى في الطريق المقابل لطموح شاعرنا فيقول:

وَ احَـــــرقتى أوّاهِ لَـو كُنت أدري مَاهِي
أ شـــــــعلةُ الإلهِ أم شـــــــعلة الرّدى
فَهِيَ الـتي تحِييني، وَ هِـــيَ التـي تَفنيني
وَ هي التي تَسقيني مِن جَمرهـــــا ندى

***

وَ هِيَ التي لَظاهـا أرانيَ الإلاهـــــــا،
وَ هيَ التي لَولاَها لَم أعرفِ الشـــــقا
رَبّاه هَلْ بلـــــيّهْ ذي النارُ أم عَطيّــه
تَحْلو بها المنيّـــهْ وَ يُعذب البَـــقا؟[2]

يقول الدكتور عيسى الناعوري في كتابه أدب المهجر: (وأما نعيمة فليس ثمة من يجهل إيمانه بروحانية الشرق، وبوجوب المحافظة عليها، لأنها، في رأيه، أفضل الوسائل لسعادة البشرية جمعاء، ولأنها هي الرسالة التي يحملها الشرق إلى العالم و إلى الحياة،

[1] - سبعون، المرحلة الثالثة، ميخائيل نعيمة، ص217، دار نوفل لنشر، لبنان- بيروت، الطبعة السابعة.
[2] - همس الجفون، ميخائل نعيمة، من قصيدة (التائه)، ص 51.

ويجب عليه أن يؤديها في الحاضر، ويستمر على تأديتها في المستقبل، كما أدّاها في الماضي بلسان أنبيائه ورسله) [1].

ويرى الباحث أن ميخائيل نعيمة ينحاز إلى روحانية الشرق، ومن خلال قراءة أشعاره يظهرأنه أقرب إلى فكرة التصوف، فهو لم يذكر أمريكا بناطحاتها ولا دولارها الإ تعريضًا عابرًا، ولم يذكر أمريكا وشجونها، فالجو الذي تدور فيه اشعاره جَو شرقي روحي، لذا فقد أكتسب أدبه بعدًا جديدًا نادى فيه الابتعاد عن الحضارة العصر وأستبدالها بحضارة اساسها التسامي على المادة بالروح والتعالى، فعندما رجع من المهجر ازداد تمسكه بروحانية الشرق بعدما احتك بالغرب، فضاق ذرعًا بمادية الغرب، فإيمانه بروحانية الشرق وكفره بالغرب المادي أكبر دليل على أخلاقه الصوفية، فيقول في كتابه سبعون: (تأثرت بالصوفية الشرقية، وعلى العموم يمكن القول إنني شرقي التفكير أعتمد على القلب)[2]،فهو صوفي بحق، في أخلاقه وآمالهِ وأمانيه[3].

ويقول أيضًا: (أنا الشرق عندي فلسفات وعندي أديان، فمن يبيعني بها طيارات؟!)[4]

وقد قال الدكتور محمد مصطفى هدارة في كتابه التجديد في شعر المهجر: (وخرج نعيمة من هذه الحيرة ليكشف آفاقًا جديدة لم يكن يراها من قبل، فهو قد تحرر من قيود المادة التي تكبله، وأزاح عنه أستارها الكثيفة التي تلصقه بالأرض، وتستر عنه الروح، فنحس في شعره ميلاً إلى انعتاق النفس من الأوشاب والأدران. والسمو بالأرواح إلى السماوات العلا)[5].

أما الدكتور شوقي ضيف فيقول: (فهو- نعيمة- ليس ماديًّا مثل أبي ماضي، بل انعتق من المادية انعتاقًا، بَلْ لعلهُ لم يكن يؤمن بما يسمى مادة، فكل ما في الحياة من ظواهر مادية قد فاض عن الذات العلية، واستسرت في داخلهِ أسرارها واستبطنت في أعماقه جواهرها،

---

[1] - أدب المهجر، د.عيسى الناعوري، ص207.

[2] - سبعون، المرحلة الثالثة، ميخائيل نعيمة، ص52.

[3] - ينظر على التوالي: ميخائيل نعيمة الأديب الصوفي، ثريا ملحس، ص33، دار صادر بيروت،1964./ أطروحة دكتوراه بعنوان (ميخائيل نعيمة مبدعًا)، عفاف عبدإله هاشم، ص67، إشراف د. السعيد الورقي، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب،2009.

[4] - أدب المهجر، د.عيسى الناعوري، ص207.

[5] - التجديد في شعر المهجر، د.محمد مصطفى هدارة، ص109، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي،1957.

فكل ما في الكون منها، صدر عنها وفاض، وما نسميه المادة، إنما هو صفة من صفاتها وعرض من أعراضها)[1].

أما الشاعر إلياس فرحات فقد ودع ساعات صفاء الروح منذ غاب عن لبنان واستقبل ساعات الكفاح المادي الشاق في المهجر، فقال:

فَإنَنّي مُذ غبْت عَنْ لُبنَانَـــــا مَازلْتُ أَمْشي تَائِهًا حَـــيْرَانَـا
عَليّ أَنْ أحالفَ الخُسْـــرَانا أَوَ لا فَان أحتمل الهَـــوَانـــا
وَ النَفْسُ لَا تَقْبَلْ أنْ تَهَانَا
أمْشِي مِنَ الأحْزَانِ وَ الأوْجَاعِ كَأن (صَنينَ) عَلى أضْلاعي
أحَاذر الذئابَ وَ الافاعـــــيَ وَ الــنَاسُ عِنْدَ الذَهب اللمَـاعِ
شَرّ مِن الحيات وَ السباعِ

و تتضح لنا في أنغام شعراء المهجر آلام الشرق وروحانيته وسكينته وسكونه، أمام كفاح الحياة وصراع الوجود، في ميدان العالم الجديد، فكما هو واضح أن المادية الغربية لم تطغ لحظة على شعراء المهجر، فقد ظلت الروحانية تسكن أرواحهم و تطمئن نفوسهم في عالم متهافت على الصراع المادي..[2].

(ولعل نسيب عريضة أكثر شعراء المهجر تعلقًا بعالم الروح، وأرقهم شوقًا إلى تلك المنازل السماوية، والذي أضنته ثنائية الروح والجسد، فرأى نفسه تعذب جسده بما تثيره من شك ومن حيرة ومن قلق، فهما في صراعٍ مستمر)[3]، فراح يؤنبها ويعاتبها على إيلامها الجسد الذي رمز إليه القلب، فقال:

يَا نَفْس مَـــالَكَ وَ الأنِيـن؟ تَتَـــــــألَمِينَ وَ تُؤلَمين
عَذَبتِ قَلبي بِالحَنيـــــنْ وَ كَتَمْتــهِ مَا تَقْصدين....
اللَيْـلُ مَرَّ عَلى ســـــوَاك أَفمَا دَهَـــاهُمْ مَا دَهَاك؟
فَلِمَ التَمرد وَ العِـــــرَاك مَا سورَ جسْمِي بِالمَتين..

[1] - دراسات في الشعر العربي المعاصر، د. شوقي ضيف، ص222، دار المعارف، الطبعة التاسعة، القاهرة، 1993.
[2] - كما ورد في الشعر العربي في المهجر، د. محمد عبدالغني حسن، ص45، دار القلم الكويت، 1989.
[3] - الرومنطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث، د. عيسى بلاطة، ص137، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،2014.

يَا نَفْس مَالَكَ في أضطرابِ كَفَـــــريسةَ بَيْنَ الذئَـابِ

هَلاَ رَجعتِ إلى الصَـــوَابِ أ بدلت رَيْبِكِ بِاليَقِينْ.. [1]

يقول ميخائيل نعيمة في كتابه الغربال: (إذا سمع القارئ في هذه القصيدة رنةً خفيّةً من نغمة الوحدة الملازمة لروح نسيب فهو يرى فيها مدى بعيدًا تكاد تلك النغمة تضمحل وتتلاشى في جنباته الواسعة. فالشاعر لايتأفف من وحدته فقط، بل يتبرم بالحرب الضروس الناشبة بين روحه السماوية وجسمه الأرضيّ، بين كيانه الخفي و كيانه الظاهر. فينتهز نفسه النازعة إلى فوق، ولكن بدون جدوى)[2].

وقد أشارت الدكتورة نادرة السراج في كتابها نسيب عريضة الشاعر الكاتب الصحفي إلى تحليل الدكتور محمد نجم والدكتور إحسان عباس حول تحليلهما لهذه القصيدة: (نلمح ملحوظة هامة عن هذه المعركة المستمرة بين روحه و جسده)[3].

وقال ميخائيل نعيمة: (فالشاعر لا يتأفف من وحدته فقط.بل يتبرَّم بالحرب الضروس الناشبة بين روحه السماوية وجسده الأرضي، بين كيانه الخفي وكيانه الظاهر)[4].

وباشتراك النفس في الإنسانية المتصارعة، اقترب نسيب من المتصوفة، وحول الصراع بين الطبيعتين قامت فلسفات أخلاقية متعددة[5]، والقلب في هذا الصراع مرادف للجسد، ويبدو أن القلب هو الرمز للجسد عند نسيب، ورغم أنه كثيرًا ما يتحدث عن الجسد كله، ويطلب من نفسه أن ترحل، لأن جسمه لايستطيع أن يتحمل أكثر من هذا:

يَا نَفْس هَلْ لَكَ فِي انفِصَال فَالجسْم أَعْيَاهُ الوِصَالْ

حمّـــــــــلتِهِ ثقل الجِبال وَ رَذلتـــــــه لاتَحْلِفِين

عَطْش وَ جُــوع وَ أشتياق أسف وَ حُزنْ وَ احْترَاق

يَا وَيْــح عَيشي هَلْ تُطَاق نَزَعاتُ نَفس لا تلين؟[6]

---

[1]- الأرواح الحائرة، نسيب عريضة، من قصيدة (يا نفس) ص87، نيويورك،1946.

[2] - الغربال، ميخائيل نعيمة، ص116، دار المعارف، مصر،1951.

[3] - كما ورد في نسيب عريضة، د. نادرة السراج، ص66.

[4] - الغربال، ميخائيل نعيمة، ص117.

[5]- ينظر الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية)، د.إحسان عباس، د. محمد نجم، ص65.

[6] - الأرواح الحائرة، نسيب عريضة، ص77.

إن الصراع بين النفس والجسد في شعر نسيب هو أيضًا تعبير عن النظرية الأفلاطونية المحدثة، فالنفس قد هبطت من عالمها العلوي و دخلت الجسد سجنها الأرضي، غَصْبًا عنها، ولكن الظاهرة الجديدة في شعر نسيب هي تعاطفه مع جسده في هذا الصراع وليس مع نفسه[1]، يقول:

أَقْلي النِزَاعَ وَ كُفّي الصِرَاعَا فَقَدْ كَادَ جسْمِي أنْ يَتَداعَى[2]

(وهذا إيليا أبو ماضي* لا تهمه المادة والشكل بقدر اهتمامه بالروح و الجوهر)[3]، لكن بالرغم من ذلك فهو يشيد بالصراع الموجود في داخله، فيقول:

إنَّني أشهَدُ في نَفسي صِراعًا وَ عِـــراكا
وَأرى ذاتيَ شيَطانًا وَ أَحيانًا مَـــــــلاَكا
هَلْ أَنا شَخصَانِ يَأبى ذاك مَع هذَا اشْتَرَاكَا
لَسْتُ أدْري![4]

إن نفحة في الناي مع سكين النفس، ونغمة في العود مع هدأة الروح قد تبلغ بسامعها أو عازفها إلى أبواب السماء ما لا تبلغه بروج نيويورك وناطحات سحابها[5].... هكذا يقول إيلياأبوماضي في (كمنجة سامي شوا):

نِيويورك! يَا ذاتَ البرُوجِ التي سمت وطَالَتْ كَي تمسَّ الغَمامْ
لَنْ تَبلُغي واللهِ بَابَ السمـــــا إلا بـَــــأوتار كنسار الشآم[6]

---

[1]- ينظر نسيب عريضة، د.نادرة جميل السراج، ص68.
[2]- الأرواح الحائرة، نسيب عريضة، ص166.
[3]- شعراء الرابطة القلمية، د. نادرة السراج، ص 120.
* اعتمد على ديوان إيليا أبو ماضي في كل من (الخمائل، والجداول، وتبر وتراب) إيليا أبو ماضي، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1960. أما البقية على (ديوان إيليا أبو ماضي الشاعر المهجر الأكبر، تقديم زهير ميرزا، تصدير سامي الدهان، دار العودة، بيروت).
[4]- الجداول، إيليا أبو ماضي، من قصيدة (طلاسم)، ص163، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، 1960.
[5] - ينظر الشعر العربي في المهجر، د. محمد عبدالغني حسن، ص45.
[6] - الخمائل، إيليا أبو ماضي، من قصيدة (كمنجة سامي شوا)، ص395.

obeikandl.com

يقول الدكتور محمد عبدالغني في كتابه الشعر العربي في المهجر: (ولا تقولن إنهم خرجوا من أوطانهم العربية -فيما خرجوا- للرزق المادي، فإن التهافت المسرف على المادة لم يلائم روحانيتهم وأحلامهم الناعمة اللذيذة)[1].

ويتحير أبو ماضي من الواقع المادي في أمريكا، ولم يمض عليه طويل وقت في المهجر فيقول[2] :

نَحْنُ في الأرضِ تَائهونْ كَأنا قَومُ مُوسَى فِي اللَّيْــلةَ الليلاء[3]

وقد وقف بين روح الشرق و مادية الغرب موقف مؤمن بالتراث، واستلهم المهجريون روح الشرق في شعرهم استلهامًا عَجيبًا[4]، يقول أبو ماضي:

أَنا في نيويورك بِالجِسمِ وبالرُّ وحِ في الشَّرقِ عَلى تِلكَ الهِضابِ
أَنا في الغُوطَةِ زَهرٌ وَنَــــدى أَنـا في لُبنـــانَ نجوى وَتَصَابي[5]

ولاعجب إذا رأينا رشيد أيوب يخلص نفسه من أصفاد المادة التماسًا لحرية الروح التي هي مطلب الحر الكريم، فيقول:

وَلَمَا رَأيْتُ المَالَ يَستبعد الهَوى وَآمالَ نَفْسِ الحُر تَقْضَي بِأن يَحْيَا
عَكِفْتُ عَلى الإقْلالِ علمــًا بأنه يَلذ لِنَفْسي الانْتصَار على الدُنيَا[6]

أما أمين الريحاني فينظر إلى الغرب بعين، وإلى الشرق بعين، فتأخذه الحسرة إن لم يكن لهؤلاء ما لأولئك من سعي وجهاد، إنه يتمنى أن يأخذ كل من الطرفين شيئًا من الآخر ليعتدل الميزان، وله شعر حول الشرق يقول:

أَنَا الشَرقْ
أنا حَجَر الزَاوية لأوَلْ هَيْكَلْ مِن هَيَاكل الله

---

[1] - الشعر العربي في المهجر، د. محمد عبدالغني حسن، ص45.
[2] - ينظر أدب المهجر بين أصالة الشرق و فكر الغرب، د. نظمي عبدالبديع، ص483.
[3] - ديوان إيليا أبو ماضي، من قصيدة (أنت)، تقديم زهير ميرزا، تصدير سامي الدهان، ص101، دار العودة، بيروت.
[4] - ينظر مدارس الشعر الحديث، د. محمد عبدالمنعم خفاجي، ص79، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر،2004.
[5] - ديوان إيليا أبو ماضي، تقديم زهير ميرزا، ص155.
[6] - ديوان أغاني الدرويش، رشيد أيوب، ص43، 1916.

وَلأوَلْ عَرْش مِن عرُوش الإنسان

لِذَلِكَ تَراني مَحني الظَهر وَ لَكِني قَويم الرَأي ثَابتَ الجِنانِ

***

أنَا الشَرقْ

شَبَحْ في مَوْكب الزَمَان

في مَوكبِ الحَياة الدُنيا

صَوت يَضجْ فِي الخَلواتِ وَيَتَراجع في الأمَاكن المُقَدَسَة

صَوت يَحْدو فِي الصَحْراءِ وَ يَمْلأ جِبالَ تَقوايَ سكُونًا طيّبًا[1]

وهذا الشاعر القروي الذي (رفض مادية الغرب وحضارته وآلته ومدنه و شَعَرَ بالتيه فيها والغربة عنها) [2] نراه يقول:

نَوَاطحُ ذَاهِبةٌ فِي الفَضـــا ء تُوشْك تَثقـب صَدْرَ السَمـاءْ

ولَوْ لَمْ تُنر ليلها الكَهربـاء لَكَانَ بها الصُبحُ مثَل المَسَاءْ

كُل دَليل في دُجَاها ضَليلِ[3]

يرى الشاعر أنه لا فائدة من التقدم في الجانب المادي والتطور الذي شهده المجتمع إذ بلغت ناطحات السحاب السماءَ حتى جعلت الحياة في المدينة ظلامًا حتى في الصباح، ويقول ساخرًا إنه لولا الكهرباء لكان صبحهم مثل المساء.

وفي ملحمة (بساط الريح) نرى فوزي معلوف يرتفع عن الأرض و دناياها، ويحلق ليعانق روحه في العلاء بعيدًا عن عبودية المادّة، وإذ تتعب لرؤيته طيور الفضاء تراه يطمئنها ويقول:

لاَ تَخَافي يَاطيرُ مَا أنَـــا إلا شَاعر تَطربْ الطِيورَ لِشْـــعرِهِ

زَارَكَ اليومَ مُتعبًا يَنْشُد الرَا حَةَ في هَدأةِ السكُونِ وَســـحرِهِ

---

[1]- من كتاب هتاف الأودية (شعر منثور)، أمين الريحاني، ص85، دار الريحاني للطباعة والنشر- بيروت، الطبعة الأولى،1955.

[2] - ملامح الشعر المهجري، د.عمر الدقاق، ص108، منشورات جامعة حلب، 1990.

[3] - ديوان القروي، رشيد سليم الخوري، ص658، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1973.

فَرَّ عَنْ أرضهِ فرَارَكَ عَنْهَـا مَنْ أذى أَهلَهَا وَ تَنْكيل دَهْرِهِ[1]

ثم يصل الشاعر إلى عالم الأرواح الأعلى فيسمعها تتهامس وتصف الإنسان بالشر:

مَلأتَ قَلْبَه الأفاعي فَلا يُسـ مَعَ غَيرَ الفَحِيحْ في خَفَقانـــهِ[2]

غير أن روحه تأتي لتدافع عنه فتناشد أخواتها الرفق به و تقول:

هُوَ بالرُغمِ مِنْهُ في عَالَـــمِ الأر ضِوإنْ كَانَ تَزَيَّا بِزِيّ أَبناءِ جِنسِهْ!
سَكَنَ الأرضَ مُرغمًا وَهْوَ لَوْ خُـ يِّرَ، مَا اختارَ غَيرَ تُربةِ رمســهِ[3]

وكذلك يصور الصراع بين الروح والجسد في قصيدته (على بساط الريح) فيقول:

بَيْنَ رُوحِي، وَبَيْنَ جسْمِي الأَسِير
كَـانَ بُـعـدٌ
ذُقتُ مُـرَّهْ
أنَا في الأرضِ، وهي فوق الأَثيرْ
أنَـــا عَبــدٌ
وَهِيَ حُرَّهْ!
أنا عبدُالحياةِ والموتِ، أَمشي مُكْرَهًا من مُـهودِها لِقْبورِهْ!
عبـدُ ما ضمَّـتِ الشرائـعُ من جَـوْر يـخُطُّ القــويُّ كلَّ سطورِهْ
بيَراعٍ دمُ الضعيف له حِبْرٌ ونَوْحُ المظلـومِ صَـــوتُ صــَريرِهْ!
أنَا عبدُ القضاءِ، تملأُ نَفْسِـي رهبـــةٌ من بَشِـيرهِ وَنَذيرِهْ!
كلُّ مَابيَّ فِي الكَونِ أَعْمَى وَمنقادٌ عَلى رُغْمـهِ لأعمَـــى نَظــيرِهْ
غَير رُوحي فَالشعر فكَّ جَناحَيْهَـا فَطَارَتْ في الجَوْ فَوْقَ نــسُوره
تَنتَحي عالمَ الخلودِ، لتحيــا حُرَّةً، بَيْنَ رَوضِهِ وَغديرِهْ![4]

---

[1] - على بساط الريح، من (قصيدة بين الطيور) فوزي المعلوف، ص17، مؤسسة هنداوي للنشر، مصر- القاهرة،2012.
[2] - السابق، من قصيدة (رقي كاذب)، ص28.
[3] - السابق، من قصيدة (بين الطيور)، ص17.
[4] - السابق، من قصيدة (العبد)، ص12.

obeikandl.com

ولو تأملنا الصراع بين ثنائية روحانية الشرق و مادية الغرب التي حاول جبران أن يحطمها, وانحياز ميخائيل نعيمة لروحانية الشرق، نرى أنه موضوعٌ بارز عند شعر شعراء المهجر، لأن أشعارهم قائمة في الأكثر على القلق والصراع النفسي، (ومن الغريب أن هؤلاء الشعراء آمنوا بالصراع بين القوى المتعددة في الإنسان، ولم يخطر لأحدهم أنها قوى يمكن أن تتحد وتعمل مجتمعة، كما اتحد العقل والقلب)[1].

كان هذا اتجاه المهجريين المشارقة بعد أن احتكوا بحضارة الغرب الحديثة، وإن لم ينكروا قوتها وضخامتها، وأوضحوا أثر العلم في بناء صرحها، وقد أوضحت صحة وجهة نظرهم في الانحراف الجارف التحللي الذي تتدافع إليه حضارة الغرب، ونذكر للفيلسوف الإنجليزي (برتراندراسل) قوله: (إن الشعوب في تحضرها تمر بثلاثة أدوار: البدائية ثم التحضر ثم التحلل - أما أمريكا فقد بدأت بالتحضر ثم انتقلت إلى التحلل)، وهكذا أتضحت في المهجريين ظاهرة صراعات العصر؛ فهم المشارقة ربيبو الديانات يدينون بالإخاء و السماحة و المحبة و الإيثار والكرم و الشهامة و عزة النفس[2].

ومهما كان الأمر، فقد كان عليهم أن يعيشوا في هذا العالم بواقعه المادي، وما انطبع في مخيلاتهم من تأثر وتفاعل، فكان معظم نتاجاتهم الأدبية والشعرية ناتجًا من شعور بالوحدة والألم والهروب من الواقع ،وتحليق في الخيال وتصادمهم بالعالم المادي الجديد، فخاطبوا نفوسهم وهاموا مع أرواحهم و وصلوا بخيالهم إلى اعتقادهم بأحد الطرفين، فمنهم من انحاز إلى جانب الروحي ومنهم من مال إلى العالم المادي بجميع تقدمه في الماديات، ومنهم من اكتفى بذكر المعاناة الحاصلة في داخله، والذي ذكرته ليس كل ما جاء في أدب المهجر من تأثر بالمصادر الشرقية، فإن دواوينهم مملوءة بمثل هذه التأثرات، وإنما جئت ببعض ما يثبت ظاهرة الصراع الدائر في نفوسهم أي الصراع الداخلي، فإن روح الشرق تموج دائمًا في فكرهم، وكثيرًا ما نراهم يفاخرون الغرب بما أبدعه الشرق من روحانية طغت في سموّها على مادية الغرب، وقد أصبح الشعراء و الأدباء ضحية هذا الصراع بين الحضارتين بعد ماكانوا عليه، وماهم عليه، و ما اتضح في أدبهم من شك و قلق و حيرة، فقد

[1] - الشعر العربي في المهجر (أمريكا الشمالية)، د. إحسان عباس، د. محمد نجم، ص69.
[2] - ينظر أدب المهجر بين أصالة الشرق و فكر الغرب، د. نظمي عبدالبديع محمد، ص89.

أوقعهم الصراع بين الحضارات في حالة من التوزع النفسي بين حضارتين تختلفان هدفًا وروحًا وغايةً و وسيلة[1].

(والسرّ في وجود هذه الناحية الروحانية عند الفكر العربي، يمكن البحث عنه في خصائص روح الحضارة العربية، فإن هذه الروح لميلها إلى الخوارق والمعجزات لاتستطيع أن تتصور العمل العلمي إلاّ مشفوعًا وممهدًا له بالنظرية الروحانية)[2]، أو أن يكون من الرومانتيكية التي كانوا ينتمون إليها، فقد قسم (ولترستيس) الفن إلى ثلاثة أقسام:

1- طغيان المادة على الروح، وهذا النوع من الفن هو الفن الرمزي.
2- التوازن الكامل، والوحدة التامة بين المادة والروح، وهذا هوالفن الكلاسيكي.
3- طغيان الروح على المادة، وهذا هو الفن الرومانتيكي[3].

والنقطة الثالثة هي المقصودة هنا، والآن يحق لنا أن نتساءل عما إذا كان من الممكن تهدئة الصراع و تضييق الشقة بين الفكر العلمي المحض، والفكر الروحي الإنساني حتى يمكن إجراء توفيق بينهما فتسعد البشرية؟ وفي محاولة الإجابة عن هذا نلحظ أن الشعور الأدبي الذي يشغل جانبًا من الروح الإنسانية يتطور بصورة أبطأ من تطور العلم، وليس في إمكان الأدب تصحيح اتجاهاته إذا انحرفت آليًّا كالعلم، ومن ثم تطول فترة الانحراف في الأدب عنه في العلم.

من خلال ملاحظتي للصراع الحاصل بين المادية الغربية والروحانية الشرقية أقول إن الشعراء الذين هاجروا إلى أمريكا الشمالية أو بالأحرى مدرسة المهجر الشمالي كانوا منحازين إلى المثالية و روحانية الشرق أكثر من مدرسة المهجر الجنوبي، بدليل قول الدكتور كمال نشأت: (شعراء مدرسة المهجر الشمالي كانوا أميل إلى المثالية العامة من شعراء المدرسة الجنوبية الذين عرفوا بالحماسة القومية والنزعة العربية، وربما كان السبب أن الجنوبيين لم يجدوا قومًا يفوقونهم حضارةً وعلمًا فساعدهم ذلك على التفاخر بماضيهم، وقوميتهم، أما الشماليون فقد بهرتهم الحضارة الأمريكية القائمة غلى العلم وانجازاته، ومن

---

[1] - ينظر أدب المهجر بين أصالة الشرق و فكر الغرب، د. نظمي عبدالبديع محمد، ص482.
[2] - الإنسانية والوجودية في الفكر العربي، د. عبدالرحمن بدوي، ص52، وكالة المطبوعات- الكويت، دار القلم- بيروت،1982.
[3] - ينظر هيجل ولتر ستيس، فلسفة الروح، المجلد الثاني من فلسفة هيجل، ص140، تقديم زكي نجيب محمود، ترجمة د.إمام عبدالفتاح إمام.

هنا كان تفاخرهم بروحانية الشرق وهجومهم على المادية)[1]، فربما كان تمسكهم بالروحانية الشرقية بسبب تلك المادية التي يتفاخر بها الغرب دائمًا أمام جميع القوميات، وليس أمام الشرق فقط، وأذكر أيضًا قول الدكتور عمرالدقاق في كتابه ملامح الشعر المهجري: (وقلما نقع في أدب الشماليين على الجانب المشرق من الحياة سوى ومضات تخفق في ظلام الكآبة و اليأس. ولعل ازدياد سلطان الضارة المادية وأستفحال وطأة الآلة على النفس الشرقية في الشمال قد زاد الأديب العربي عزلة)[2]، وأتفق أيضًا مع نظرة جورج صيدح، فهو يقول: (إن شعراء الشمال هم الذين كانوا مبشرين برسالة الشرق الروحية (كان تأثيرها بَليغًا في البيئة الأمريكية حيث كانت النفوس مفتقرة إلى فلسفة روحية)، ولكنه في الوقت نفسه أعترف بأن (البيئة الأمريكية في الشمال فرضت طابعها على عادات المهاجرين العرب وعلى مظاهرهم الخارجية) [3].

ثم إن الفرق بين الحياة في الولايات المتحدة والحياة في أمريكا اللاتينية في بداية القرن المنصرم جعل المحيط كذلك يساعد على توسيع الشقة بين الجماعتين، فأسلوب الحياة في أمريكا الشمالية بما فيه من نظام و تفوق مادي، وبما يتركه من أثر بالغ في الوافدين من أماكن تختلف جذريًا عن أسلوب الحياة في أمريكا اللاتينية، أدى الى حدوث تأثير و تأثر ومدى انعكاس روحانية الشرق في أعمال بعضهم، ومنهم من انحاز إليهم واصطبغت أشعاره بهم.

يقول الدكتور شوقي ضيف في كتابه دراسات في الشعر العربي المعاصر: (فهذا الشعر العربي الذي هاجر من بلاده إلى أمريكا قد حمل معه في أطواء نفسه تأريخ العرب الفني، بل حمل معه تأريخ الشرق كله وروحانيته، إن شعراء الجنوب أكثر دخولاً في حيز الإطار العربي، فروح الشعر عندنا تسيطر عليهم سيطرة بالغة)[4].

إلا أن أكثريتهم كان منحازًا إلى روحانية الشرق وفضلها على مادية الغرب، فمثلاً ميخائيل نعيمة يرد على قول الريحاني في كتابه (البيادر) تحت عنوان (التوأمان): الشرق والغرب فيقول: (فاعجبوا معى لهذا الشرق- وقد أهدى إلى العالم المحبة والقناعة، والتضامن

---

[1] - شعر المهجر، د. كمال نشأت، ص27.
[2] - ملامح الشعر المهجري، د.عمر الدقاق، ص235.
[3] - الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، د. سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة د. عبدالواحد لؤلؤة، ص105، مركز دراسات الوحدة العربية، بيت النهضة، بيروت،الطبعة الثانية، 2007.
[4] - دراسات في الشعر العربي المعاصر، د. شوقي ضيف، ص254، دار المعارف، الطبعة التاسعة، القاهرة، 1993.

والتآخي- يقف اليوم على مفرق طريق البصيرة والبصر، كسير القلب....ويمينه الفارغة ممدودة نحو الغرب، وفي يساره قائمة بأسفاره المقدسة، وأسماء أنبيائه. ثم اسمعوه يستعطي بصوت متهدج، فيه الانسحاق، وفيه المسكنة والاندحار. وما عساه يستعطي طيارات ودبابات ومدمرات،....)[1].

أما الريحاني فيقول في مقاله المعنون (من على جسر بروكلين): (وقد شاهدت الآن ثلاثة مناظر عظيمة لا أنساها، لأنها عندي أشبه برموز جميلة لدعائم الحياة الروحية الثلاث، هي مراحل في رحلتي الفكرية التي باشرتُها..أما المناظر الثلاثة التي تمتّع بها طرفي حتى الآن، فتركت أثرًا عظيمًا في نفسي، في لبنان وسواحله من ذروة الجبل صنين، وباريس من على برج إيفل، ونيويورك في الليل من منتصف جسر بروكلين، فالأول إنما هو رمز الطبيعة، والثاني رمز الفنون الجميلة، والثالث رمز الكد والاجتهاد، وهذي هي دعائم الحياة الروحية الثلاث، فالمنظر الأول من صنعة الله، والمنظران الآخران صنعة الإنسان؛ ففي الأول روحي، وفي الثاني قلبي، وفي الثالث جسدي)[2]، و في مكانٍ آخر يخاطب السفن المغادرة للشاطئ الأمريكي قائلًا: (احملي إلى الشرق شيئًا من نشاط الغرب و عودي إلى الغرب بشيء من تقاعد الشرق، احملي إلى الهند بالة من حكمة الأميركان العملية، وعودي إلى الغرب ببضعة أكياس من بذور الفلسفة الهندية)[3].

يقول الدكتور محمد عبد الغني حسن في كتابه الشعر العربي في المهجر: (إن المهجريين استطاعوا أن يحتفظوا بشخصيتهم العربية التي تعبر عنها لغتهم أصدق تعبير، واستطاعوا أن يبنوا للغة عدنان كيانًا قائمًا في المهجر)[4].

وهكذا تابعوا شعراء المهجر مثل (شعراء الرومانتيكيين الذين أنكروا المادة وآمنوا مع الفيلسوف هيجل على أن الروح هي الحقيقة الوحيدة)[5].

والمهجريون كانوا أصحاب فضل في إطلاعنا على ما نحن في شوق إلى التعرف عليه مما عليه الغرب، فوافونا به أدبًا عصريًا، وتراثًا عربيًا، وأثبتوا به جدارة اللغة العربية

---

[1] - البيادر، ميخائل نعيمة، ص155، مؤسسة نوفل للطباعة و النشر، الطبعة الثانية عشرة، بيروت،1996.
[2] - أمين الريحاني، مختارات و دراسات، د. ميشال خليل جحا، ص367، دار الصادر – بيروت، الطبعة الثانية،2007.
[3] - السابق، ص366.
[4] - الشعر العربي في المهجر (مقدمة الكتاب)، د. محمد عبدالغني حسن، ص5.
[5] - C. M. Bowra, The Romantic imagination, Oxford university, p22, 1950.

بمواكبة الحضارات ومرافقتها لها مسجلة و باعثة هادية متنبئة، وأثبتوا الوجود العربي البناء في ديار الغرب.

ولعلنا تعرفنا في هذا الفصل على أحد أشكال الصراع الداخلي في أدب المهجر، فهو مزيج بين المؤيديين لروحانية الشرق ومادية الغرب، لكن الميزة البارزة فيه تجلى الطابع الشرقي الذي يتجه اتجاهًا روحيًّا إشراقيًا في كثير من المضامين والموضوعات، ويبدو لنا أن فلسفة الأدب المهجري فلسفة مثالية، روحانية مطلقة.

obeikandl.com